الحنين إلى الماضي

لغة الحنين إلى الماضي ليست جديدة أو بدعة من قبل كثير من الناس؛ بل هي متداولة ولاسيما إذا شعر الإنسان أن أمسه أفضل من يومه و يومه أفضل من غده، وهذا الشعور لا يتوقف عند حدّ معين، فهناك من يدعو إلى ماضٍ لم يعشه و يتمنّاه بعد أن أنهكه اليوم الذي يعيشه و يتوقّع مستقبلًا غير مرضيّ أيضًا، فيحاول الوقوف على الأطلال و يستذكر الأيام الخوالي و إن كانت هي الأخرى مريرة وشديدة.

نعم إنها الحقيقة التي تجلّت اليوم في أبهى صورها، فكثير من الناس باتوا يتأوّهون على أيام الحقبة الماضية حيث كان هدّام متسلّط على الرقاب وقد أهلك الحرث والنسل فبات الشعب منقسمًا على نفسه بين مسجون وشهيد وطريد وضعيف لا حول له ولا قوة، وبين متباهٍ يسير خلف (القائد المقدام) الذي قرَّب منه كل نعثلٍ يكيد لهذا الشعب؛ لينتقم من كل ذي بصيرة و يقتل كل ثائر.

لقد ولّى عصره بكل ما كان فيه من الظلامة والقساوة التي قد لا يتصوّرها أبناء هذا الجيل الذين لم يعيشوا تلك الحقبة المظلمة من تاريخ العراق والعراقيين، فنسمع منهم بين الحين والآخر أن الماضي كان أفضل من اليوم، وفي الجانب الآخر ما زالت الماكنة الإعلامية تعمل بكل جدٍّ ونشاط لصالح الماضي الأليم والقذر، وتحاول أن تُحسِّن صورته بعد أن فشلت الطبقة السياسية في تحقيق طموح الجماهير وعاثت هي الأخرى في الأرض فاسدة وضعيفة.

مرة أخرى اليوم علينا أن نعترف أننا نعيش في عصر اللادولة ، فكل شيء مجيّرٌ لصالح الفاسد الذي لم يعتبر بمن سبقه من الظالمين ولم يشكر نعمة الله عليه بالانتقام من الظالمين، وإلّا فمن كان يتصوّر أنّنا نوفّق لحضور لحظة سقوط الصنم وانكساره و إذلاله، والانتصار لتلك الدماء التي سفكها ، والأطفال والنساء المفجوعين والمجزّرين بأبشع أنواع التعذيب والتنكيل، وتشهد لهم الزنزانات وأحواض التيزاب والمشانق والأعضاء المقطّعة والمقابر الجماعية وغير ذلك كثير.

نعم مع كل ما سبق فهناك من يترحّم عليه و يتمنّى أيّامه، ولكن حينما نقف عند هؤلاء فنجدهم إما لم يكونوا حينها ففاتهم معرفة المحنة وشدَّتها، أو هم من المنتفعين في تلك الأيّام والتغيّر أثَّر عليهم فذهبت امتيازاتهم التي حصلوا عليها بالوشاية وظلم الناس فضلًا على المؤمنين، فشعروا بأن الوضع الجديد ليس لصالحهم، و يتمنون أيامهم ولاسيما حينما كانوا يتزيّنون بالزيتوني و يقفون على أفواه الطريق ليعترضوا على كل كبير وصغير، بل يعمدون إلى تلفيق التّهم على الآخرين ثم يستشعرون الراحة على جراحهم بعد أن تُنكّل بهم.

نعم أيها الصغير الذي كبُرت وبلغت، فأنت لم تعش ساعة العسرة ولم تدرك خطورة الأمر ولم تجلس في بركة التيزاب أو تقاوم ضرب السياط ، فلذلك تتصوّر أن تلك الأيام كانت أجمل ولاسيما حينما ترك الآباء وظيفتهم، والأخوة مسؤوليتهم في إخبارك عن مسلسلات الوجع وساعات المحنة التي كانوا يعيشونها في أيّام الماضي حيث البعث الكافر وأشباه الرجال.

إن من الثوابت عندنا أن المجالس الحسينية حافظت على جانب مهم من جوانب العقيدة الصحيحة وهو جانب الولاية والتبرّي، ففي كل عام نتزوّد من المجالس كثيرًا من المعلومات التي يكبر عليها الصغير و يشيب عليها الكبير؛ لتعمل على تعميق الوعي وتأصيله وسلامة انتقاله من جيل إلى آخر بصدق وأمانة، كذلك اليوم جزء من حقوق الأبناء على آبائهم تعريفهم بتلك الأيام وما كان فيها من الأوجاع والآلام والمصائب، ليحملوها إلى أبنائهم ؛ لأن العقيدة الصحيحة تستلزم التبرّي من أعداء الله تعالى وأعداء ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمؤمنين، فمن يتأوَّه على الهدّام ليس له أن يتوفّق إلى التولّي، وأما فشل السياسيين فهذا بلاء آخر ووصمة عار عليهم سيكتبها التاريخ بأقلام من النقد الموضوعي ليأخذ كل ذي حقٍّ حقه.